

## الفكر اللساني: إطلالات أولية

أحمد الحمدي<sup>1</sup>

1435/07/23م - 2014/05/22م

[ 1 ]

\* شَعَاعٌ:

قَالُوا: " تَكَلَّمْ حَتَّى أَرَكَ! "<sup>2</sup>

خَزَانَاتٍ مِنْ مَحْمُولَاتِ الْمَعَانِي تَتَوَارَدُ عَلَى طَاوِلَةِ أبحاثِ دَارِسِي الْعِلْمِ اللَّسَانِيَّةِ/الْحَدِيثَةِ خُصُوصًا، وَالْاجْتِمَاعِيَّةِ وَالْإِنْسَانِيَّةِ عَمُومًا، بِكَوْنِ اللَّسَانِ/اللُّغَةِ، حَامِلِ هُويَّةِ الْإِنْسَانِ فِي أبعادِهِ الدَّلَالِيَّةِ، وَالْمَدْلُولِيَّةِ، رَامزًا، وَمَرْمُوزًا إِلَيْهِ. وَهِيَ ضَرْبٌ مِنَ الرَّمزِ، مَتَرَاوِحِ الدَّلَالَةِ.

لَقَدْ شَاءَتْ إِرَادَةُ اللَّهِ تَعَالَى أَنْ تَكُونَ رِسَالَتُهُ الْخَاتِمَةَ إِلَى الْبَشَرِيَّةِ وَحَيَا مُشَكَّلًا فِي لُغَةٍ هِيَ اللُّغَةُ الْعَرَبِيَّةُ، وَسِوَاهُ كَانَ ذَلِكَ الْوَحْيِ مَعْجَزًا - وَهُوَ الْقُرْآنُ الْكَرِيمُ - أَوْ غَيْرِ مَعْجَزٍ وَهُوَ الْحَدِيثُ النَّبَوِيُّ الشَّرِيفُ<sup>3</sup>. فَإِنَّ هَذَا اللَّسَانَ أَضْحَى آيَاتٍ حَكَمَتْ بِتَمْظَهْرَاتِهَا الْمَعْرِفِيَّةِ/الْإِبْتِسْمُولُوجِيَّةِ، التَّرَاثِ الْإِسْلَامِيِّ كُلِّهِ فِي قِرَاءَةِ النَّصِّ الْقُرْآنِيِّ التَّيْبَانِيِّ لِلدُّورِ الْإِسْتِخْلَافِيِّ الْإِنْسَانِيِّ، وَالنَّصِّ النَّبَوِيِّ الْمُبَيِّنِ لِهَذَا الدُّورِ الْإِسْتِخْلَافِيِّ/التَّكْلِيفِيِّ! مُشَخَّصًا فِي خَتْمِ النَّبُوءَةِ بِالرِّسَالَةِ الْمَحْمُودِيَّةِ الْخَاتِمَةِ.

إِنَّمَا صَيْرُورَةٌ مِنَ الْإِنْسَانِ نَحْوِ الْمُتَعَالِيِّ وَالْمُطَلَقِ/اللَّهِ، نَظَرًا وَعَمَلًا. بِمُوجِبِهَا عَرَفْنَا أَمْهِمِيَّةَ النَّظَرِ اللَّسَانِيِّ الْآلِيِّ/وَالْبَشَرِيِّ فِي هَذَا الدُّورِ الْإِسْتِخْلَافِيِّ/التَّكْلِيفِيِّ، الَّذِي انْجَلَى بِمَشِيئَةِ اللَّهِ - أَنْ يَكُونَ هَذَا اللَّسَانُ هُوَ الَّذِي اخْتَارَهُ أَنْ يَكُونَ جَسْرَ التَّوَاصُلِ، وَالْحَبْلَ السَّرِيِّ فِي هَذِهِ الْعِلَاقَةِ، عِلَاقَةِ الرَّبِّ مَعَ الْمَرْبُوبِ.

<sup>1</sup> <https://alhamdi.blog> (نشر هذا المقال عام 22/05/2014).

<sup>2</sup> عمر عبيد حسنه، الخطاب الغائب (ص 19) المكتب الإسلامي، 2004م.

<sup>3</sup> عبد المجيد النجار، القراءة الجديدة للنص الديني: عرض ونقد، مركز الولاية للتنمية الفكرية، سوريا، دمشق، ط، الأولى: 1427هـ، 2006م.

ننبه بداءة إلى عدم الدخول في «المفاضلة اللغوية» بين هذه اللغة أو تلك فهي عملية لا فائدة علمية من وراءها. الآيات القرآنية التي يتم الاستناد إليها، والتي تؤكد على عربية القرآن لم تشر أي واحدة منها إلى أفضلية اللغة العربية على اللغات الأخرى، كيف يمكن أن يكون ذلك والقرآن الكريم يعتبر اختلاف الألسنة من آيات الله... لقوله تعالى: {وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاجْتِلَافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَاللُّوَانِكُمْ، إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِلْعَالَمِينَ} [سورة الروم 22].

إن التقديس الذي يُعطى اللغة العربية ينم عن فهم مغلوط للكثير من أقوال علماء العربية، وتجاهل بعضها أحياناً، فالكثير من نصوص التراث تشير إلى عدم تفضيل لغة على أخرى، وهذا ما أشار إليه ابن حزم بقوله: «وقد توهم قوم في لغتهم أنها أفضل اللغات، وهذا لا معنى له؛ لأن وجوه الفضل معروفة، وإنما هي بعمل أو اختصاص، ولا عمل للغة ولا جاء نص في تفضيل لغة على لغة، وقد قال تعالى: {وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانٍ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ}، وقال تعالى: {فَإِنَّمَا يَسَّرْنَاهُ بِلسَانِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ}. فأخبر تعالى أنه لم ينزل القرآن بلغة العرب إلا ليفهم ذلك قومه ﷺ لا غير ذلك. وقد غلط في ذلك جالينوس فقال عن لغة اليونانيين: إنها أفضل اللغات، لأن سائر اللغات إنما هي تشبه نباح الكلاب، أو نقيق الضفادع. وهذا جهل شديد، لأن كل سامع لغة ليست لغته ولا يفهمها فهي عنده في النصاب الذي ذكر جالينوس ولا فرق. وقال قوم: العربية أفضل اللغات لأنه بها كلام الله تعالى، وهذا لا معنى له، لأن الله... قد أخبرنا أنه لم يرسل رسولاً إلا بلسان قومه<sup>4</sup>».

إن عدم إدراك أهمية اللغة ودورها في بناء الأمم، وصياغة شخصيتها، وتشكيل ثقافتها، هو خطيئة معرفية حضارية<sup>5</sup>، وإحدى الجرائم الخطيرة التي ولا بد أن تُقام لها عملية قيصرية لاجتثاثها!

اللغة وعاء الحركة الإنسانية برمتها، وهي الوسيلة لإجراء معادلات وعمليات الذكاء، وتشكيل الصور الذهنية، هي محرض التفكير، والاجتهاد والتجديد، ومفتاح الإقلاع الحضاري<sup>6</sup>، لكن هذا البناء المقدس والشامخ/النبوي - قرآنا وسنة - الضخم وهذا الميراث الثقافي الهائل، سوف يبقى محنطاً ومغلقاً ومسدوداً أمامنا إذا لم نملك روح فكره وأحد أهم مفاتيحه أعني به "الحس اللساني/اللغوي" - والذي بدونه لن نلج إلى جنته ولن ندرى ما بداخله. وعندها نخلص إلى نتيجة هي من أوضح الواضحات عند أولي النظر والحجى: " أن من هجر اللسان، هجر القرآن !! ".

<sup>4</sup> ابن حزم الظاهري، الإحكام في أصول الأحكام، مطبعة الإمام، القاهرة (ج1ص32). عن: حافظ إسماعيلي علوي، نحن واللسانيات مقارنة لبعض إشكالات التلقي في الثقافة العربية، مجلة الكلمة، العدد ( 59 ) السنة الخامسة عشرة - ربيع 1429/2008هـ.

<sup>5</sup> عمر عبيد حسنه، قوة الثقافة لا ثقافة القوة، (ص 95) المكتب الإسلامي، 2005م.

<sup>6</sup> م.س (ص 86-87).

إن فهمنا - نحن المتكلمين بالعربية اليوم وجمهرة دارسيها - لطبيعة اللغة ووظيفتها وطرائق دراستها فهم جد متخلف، ومعظم إنتاجنا في الميادين اللغوية قاصر ومقصر، وإنا لنعالج أحيانا مشكلات لغوية خطيرة على جهل بما يراه "علم اللغة الحديث" من البسائط والأوليات . ومن ذلك أننا نتحدث عن "تيسير النحو" وعن "تيسير العربية وترقيتها" وعن "إصلاح الكتابة العربية" وعن "العامية والفصحى" وعن "التعريب" و"النحت" و"الاشتقاق" ونقضي الوقت في كل هذا، ولو كانت لنا محاولات و معرفة "بنتائج علم اللغة" وبشيء من "الدراسات اللغوية الحديثة"<sup>7</sup> ومعرفة بالنظريات والأطروحات المعرفية/الإبستمولوجية الفلسفية، لاختصرنا أوقاتنا، وقطعنا أشواطاً من فهم الإبداع اللساني واستكناه المعاني والقوالب الإدراكية، على أوضح فصل، وأسلم أصل، وصلت إليه المعرفة الإنسانية - إلا أن هذا الاستجلاء له أغوار لن نفرح بشم نسيمها إلا بتعميم مفهوم الاجتهاد في كل عوالم الشهادة في سبيل المعرفة<sup>8</sup>.

إن أهمية الدراسة اللغوية اللسانية لفهم الثقافة حق الفهم أمر يحس به من يعرضون لدراسة الحضارات؛ وذلك أن أي نظام لغوي هو تعبير عن إدراك جماعة من الجماعات لبيئتها ولنفسها، وإن لم يكن هذا التعبير كاملاً .

ألم يكن "آلف سمرفلت" صادقا عندما قال: "ومن ثم فلا يستطيع أن يفهم حضارة ما حق الفهم من يجهل وسيلتها اللغوية واللسانية في التعبير"<sup>9</sup>!

## [ 2 ]

شُعَاع:

" ثمت أطياف "

تشي للأطياف...

علنا في تلك الوشائيات

نصادف أرواحنا..."<sup>10</sup>

تعددت المظاهر الفكرية للحضارات كثيرا، إلا أن أكثرها إبداعا وأبرزها على الإطلاق اللغة/ والكتابة ! فاللغة هي التي صبغت من الإنسان إنسانا/ في بُعده التواصلية الظاهر، المعبر عن آماله وآلامه الباطنة<sup>11</sup>؛ وهي وسيلة

<sup>7</sup> محمود السعدان، علم اللغة: مقدمة للقارئ العربي، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان(ص23).

<sup>8</sup> إن الأطر المعرفية المقصودة بالدرس المعرفي اللغوي هي فعل النظر في النسبي الإنساني/اللغوي/ اللساني الذي اشتركت فيه الإنسانية جمعاء وتعانقت فيه التجربة الإنسانية، خلافا لميتافيزيقيا النظر الغيبي الذي لا طريق لنا إليه إلا السمع، المتجاوز لحدود الإمكان البشري في المجال التداولي البشري.

<sup>9</sup> آلف سمرفلت، الاتجاهات الحديثة في علم اللغة -مقال- مجلة ديوجين- . عن: علم اللغة - مقدمة للقارئ العربي(ص19).

<sup>10</sup> غالية خوجه، قلق النص محارق الحداثة، (ص 10) المؤسسة العربية للدراسات، بيروت/ لبنان.

التفاعل والتفاهم بين الأفراد، ولولاها لما استطاعت الجماعات والكتل البشرية أن تتقارب وتتفاهم، وبالتالي تتكامل فيما بينها، ولم يكن الإنسان ليستطيع إدراك الأشياء بعيدة عن صفاتها.

وكذلك الكتابة بدأت برسم أشكال للأشياء للدلالة عليها ثم تطورت لتظهر الحروف وبالتالي سهلت الكتابة سبل انضباط الفكر وتفهمه<sup>12</sup>.

عندئذ ينبغي أن نأخذ بزمام زوايا مثلث جرمانى/ هرمي ليبقى ماثلاً أمامنا - كي لا نضيع في مفردات البحث - في التناول الأداتي عند البحث اللساني عموماً، والعربي خصوصاً:

**1- الزاوية الأولى:** أن اللغة العربية ... هي المفتاح الرئيس إلى عالم الفكر الذاتي للعرب.

**2- الزاوية الثانية:** الدين، بصفته المحور/ والفكرة المركزية التي يدور حولها الوجود الشهودي للأمة المحمدية في كل ما يتعلق بأمورها<sup>13</sup>.

**3- الزاوية الثالثة:** الوعي بالذات الحضارية/ الإنسانية، والتي تتطلب عناصر اللحظة الحية الأربع وهي :

**أولاً: التنقيب:** للأسس المعرفية التي صاغت الماضي الفكري المدفون تحت الأنقاض؛ أي: حالة الوعي بحاصلية الحاصل، لإمكان التحصيل الفريد فيما بعد الذي يمثل ثوب هذه الأمة أو تلك.

**ثانياً: الاستيعاب:** لأسباب نشوء هذا الماضي، واكتهاله، ثم تقهقره، واندثاره والخروج بالعبارة الحضارية اللازمة للانطلاق للمستقبل، فالعرب الأوائل انطلقوا من البداية، ولكنهم لم يكونوا صفراً من حصاد التجربة الإنسانية، وكانوا آنذاك وسط حضارات تفوقهم فلم يترددوا في الأخذ غير الأعمى، والنقد البناء من أولئك، فكانوا جسراً موصولاً للماضي مع اللحظة إلى المستقبل .

**ثالثاً: البناء:** حيث واصلوا فوق ذلك تشييداً بنكهتهم المستقلة، وطريقتهم الخاصة .

**رابعاً: الإبداع<sup>14</sup>:** حيث نتج عن تلك الروح التنقيبية/ النقدية ، والاستيعابية، والبنائية، مظاهر اللحظة الريادية التي شكلت ألوان الإبداع المنظور، والمسطور.

<sup>11</sup> تمايز الإنسان في الوجود كان لدوره الاستخلافي، خلافاً لمن جعل العقل/الفكر، والمنطق والبيان، والاجتماع العمراني هو ميزة الإنسان عن غيره. انظر: بداية الكون، محمود عبد الرازق- بحث- في: "مجلة الحكمة" (عدد 34- ص 108-114). و وظيفة الاستخلاف في القرآن الكريم - محمد زرمان (ص33) دار الأعلام، الأردن، ط، الأولى 1423هـ - 2002م.

<sup>12</sup> محمد خريسات وآخرون، تاريخ الحضارات الإنسانية (ص 54) مؤسسة حمادة للخدمات والدراسات الجامعية - الأردن- بتصرف.

<sup>13</sup> نعني بذلك العقل الإسلامي، المنفتح على العالم، الذي لا يعارض التطور العقلي.

فاللغة مرآة الفكر، تعكس فكر مستعمليها وثقافتهم، ومن يكسب لغة أو لهجة، لا يكتسب ألفاظها وقواعدها فحسب؛ بل يكتسب فكرها وثقافتها أيضا<sup>15</sup>، ومن هنا نعلم أن اللغة الإنجليزية مثلا حاملة للثقافة الأمريكية ولا بد! ولم يكن ممكنا للإنجليزية أن تفرض نفسها، في المؤسسات الأوروبية مثلا، كما تفعله اليوم، لو لم تكن لغة القوة الأمريكية المتفوقة، ماديا، ورمزيا<sup>16</sup>.

### فالوضع اللغوي لأي أمة تبع مدى قوتها وضعفها في المجال العمراني، والاقتصادي، وقبلهما الثقافي.

وعليه نعلم مدى التلازم بين أحكام الوجود العمراني، وأحكام الشرع الرباني - الذي تعتبر اللغة إحدى أهم آليات فهمه - وهي حقيقة قرر أثرها الفيلسوف الحضرمي اليماني - ابن خلدون - في : " المقدمة " بقوله : "المغلوب مولع أبدا بتقليد الغالب!".

## [ 3 ]

### شُعَاع:

" القارئ العربي مطالب بحمايته العالم من خسارة فادحة تصيبه

بما يصيب هذه الأداة العالمية من أدوات المنطق الإنساني ! " . (العقاد<sup>17</sup>).

التذبذب اللغوي وليد التذبذب الثقافي العام، فالحالة ليست مفردة منعزلة عن تركيب معقد للمشاكل الإنساني في أي ظرف زمني ومكاني، هذا الذي يجعلنا ننظر إلى ألوان من التخلف في لوحة فسيفسائية مبعثرة المعالم في حاجة لإعادة الأشكلة والتأطير .

<sup>14</sup> زجرید هونكه، الله ليس كذلك (ص 95-96-101) عن: الدين والحضارة - محمد عمارة (ص 107-108)، مكتبة الشروق الدولية "سلسلة: هذا هو الإسلام رقم: 1" ط ، الأولى 1426هـ، 2005م. بتصرف .

<sup>15</sup> محمد التركستاني، الفصحى لا تنزوي عن حياة الناس، -مقال- في: "مجلة الحكمة" (عدد 34 - ص 11-15) .

<sup>16</sup> انظر: مكسيم لوفابر، السياسة الخارجية الأمريكية (ص 143) دار عويدات، لبنان/بيروت، ط ، الأولى : 2006م.

<sup>17</sup> اللغة الشاعرة: مزايا الفن والتعبير في اللغة العربية (ص 6) عن-ندوة- اللغة العربية والوعي القومي، بحوث ومناقشات الندوة الفكرية التي نظمها مركز دراسات الوحدة بالاشتراك مع: المجمع العلمي العراقي، ومعهد البحوث الدراسات العربية، ط، الأولى 1984م (ص 144).

اللغة ليست هياكل صامتة، وإنما هي أجسام حية ناطقة، وحالة الضخ بها في نفوس أهلها يولد حالة من التفاعل بها في جنبات الحياة؛ ذلك ما أدركه غيرنا وجهلناه! ما يوجب علينا أن ننظر للغتنا اليوم دونما تضليل للنفس، ولا تزيين للواقع، واعين بما تعانیه الشخصية العربية من حال هو أقرب للمرض منه إلى الصحة<sup>18</sup>.

بل يذهب البعض<sup>19</sup> إلى أن مفهومنا للغة/وللرموز الثقافية دوراً جوهرياً في التصميم ذاته للخلق البيولوجي/الفيزيولوجي للإنسان، فللخطاب اللغوي وللرموز الثقافية قدرة كبيرة على شحن الأفراد والجماعات بقوة وطاقة عظيمتين، حتى يمكن أن تصبح أعمالهم وسلوكاتهم جبارة، ولها سمات فطرية قادرة على التنقل السريع والآني عبر المكان، والزمان<sup>20</sup>.

واللغة إذا نظرنا إليها باعتبارها أم لكافة الرموز الثقافية<sup>21</sup> ندرك أننا نعيش ألواناً أخرى من التخلف، وعلى رأسها التخلف اللغوي، والثقافي والنفسي<sup>22</sup>، فالشعور بمركب النقص إزاء الآخر أياً كان هذا الآخر الحضاري مَعْلَم نفسي منتشر في مجتمعات "العالم الثالث" والاعتداء على أهم رموز إلى للإنسان هو اعتداء على أهم مكونات هويته، والتي بتقويضها يقوض الانتماء إليها، ومن ثم كان الانتماء إلى محمولها الذي فجرها - بطريقة لا شعورية - وجعلها تغدو لغة عالمية، أعني به القرآن الكريم ليس إلا!.

إذن فثمت عصب مركزي تحوم حوله الأزمة اللسانية/أو حالة الكساد اللغوي العربي: هو تهديد لهويات الأفراد والجماعات، والمجتمعات، وبعبارة أخرى الهجوم على الرموز الثقافية العربية/اللغة هنا، هو هجوم على الروح الرموزية الثقافية للإنسان العربي في حالته الاجتماعية<sup>23</sup>.

فليست القضية متوقفة عند البكاء على عدم الاهتمام بالدرس اللغوي والبلاغي عموماً، وعزوف الناس عن النحو، والصرف، والبلاغة، وأشعار البحتري، وتمام، والمنتبئ، إلى أشعار نزار، ودرويش، ونازك، ودنقل، وألوان

18 الشاذلي الفيتوري، الأسس النفسية والاجتماعية للغة العربية، عن - ندوة - اللغة العربية والوعي القومي، مركز دراسات الوحدة (ص 145).

19 انظر: مدارس الأنثروبولوجيا، خصوصاً الأنثروبولوجيا الفيزيقية (الطبيعية).

20 محمود الذواودي، نظرية الرموز الثقافية، مجلة الحرس الوطني/السعودية - نت، مقال - عدد رقم: 276 بتاريخ 2005/06/01م.

21 يصف د. الذواودي الرموز الثقافية بأنها "ذلك الكل المتمثل في اللغة والفكر والدين والمعرفة/العلم والقوانين والقيم والأعراف الثقافية، التي لن نستجلي خبايا السلوك البشري بدون أولوية الرجوع إليها، إذ الإنسان كائن رموزي ثقافي بالطبع، يتناول ككل مركب". عن -مقال - "مفاهيم عربية جديدة في العلوم الاجتماعية". مجلة: المنار الجديد، عدد 33 (ص: 43) السنة التاسعة محرم 1427هـ - يناير 2006م.

22 كما يذهب إليه د. الذواودي في كتابه "التخلف الآخر.. أزمات الهويات الثقافية في العالم الثالث". حيث يحدد معنى التخلف الآخر بأنه:

التخلف اللغوي والثقافي والنفسي. في لقاء تلفزيوني لـ "قناة الجزيرة" برنامج: خير جليس، بتاريخ 2003/05/20م. عن موقع الجزيرة - نت.

23 الذواودي، مفاهيم عربية جديدة في العلوم الاجتماعية، مجلة: المنار الجديد، ص 50-51 بتصرف.

أدب الإثارة الجنسية، والمغامرات البوليسية، وبلسمة المشاعر فحسب، بل الأمر أغور من هذا التسطيح الكسبل للأزمة، والذي يبسطه البعض بطريقة لا تتجاوز الوعظ الجماهيري.

إن النكبة تكون أكبر عندما لا تجد من يفقهها، ويروضها بسنن التدافع والتمانع، فمن بيني قصرا من رمال وسقط في حينه فتلك كارثة، ولكنها لا تقاس بالكارثة التي ستحصل عندما يتأخر سقوط ذلك القصر، إذ الكارثة ستكون فاجعة! (فاقص القصص لعلهم يتفكرون!) " (الأعراف: 176).

## [ 4 ]

### شُعاع:

"مَنْ لَمْ يُنْشَأْ عَلَى حُبِّ لُغَتِهِ قَوْمَهُ، اسْتَخَفَّ بِتُرَاثِ أُمَّتِهِ ! " (د. عثمان أمين<sup>24</sup>).

### (1) في البعد الفكري للدور اللساني:

علاقة اللغة بتكوين المفاهيم والأفكار تعتبر جد حيوية ومصيرية في مجال الإبداع البشري في كل ميادينها، ولو تأملنا جيدا المنظومات الفكرية والعلمية المختلفة، لوجدنا بأنها تركز في جزء كبير منها على اللغة، فالإنسان الذي لا يعرف إلا الأشياء هو إنسان بدون أفكار، فداخل وعاء اللغة توجد الأفكار<sup>25</sup>.

ونستطيع أن نقول في هذا السياق أن إنتاج الأفكار والمعارف يخضع إلى حد كبير لطبيعة اللغة المستعملة وخصوصيتها، فالفلسفة اليونانية متأثرة إلى حد بعيد ببنية وفضاء اللغة اليونانية، والفلسفة الألمانية يمكن اعتبارها تكتيفا شديدا ومبدعا للغة الألمانية "فالألماني يصنع باللغة ما يصنعه عالم الآثار بالأرض"<sup>26</sup> فالخصوصية اللغوية تصبح منتهكة عندما لا يشعر أبناءها بعظم ترابطها بمحمولها - وبالنسبة للعرب والمسلمين هو القرآن هنا! -.

واللغة كما يشير أحد الفلاسفة، تشكل في علاقتها الجدلية والثنائية مع الفكر وجهين متقابلين لعملة واحدة، فهي وعاء الفكر على حد تعبير هيجل، وهي التي تحول الحالات الشعورية إلى أفكار مجردة، ولا ريب أن

<sup>24</sup> في كتابه: فلسفة اللغة العربية؛ عن، نحو إتقان الكتابة باللغة العربية، أ.د. مكي الحسني (ص2). و معجم الأخطاء الشائعة، محمد العدناني(ص6) مكتبة لبنان، ط2، 1993م.

<sup>25</sup> انظر: رشدي الحاج صالح، المنطق واللغة والمعنى في فلسفة فتحششتين، دار كيوان للطباعة والنشر والتوزيع، سوريا.

<sup>26</sup> الطاهر وعزيز، المناهج الفلسفية، المركز الثقافي العربي، بيروت، والدار البيضاء، ط، الأولى، 1990م (ص72).

المنطق وثيق الصلة باللغة ، لذا تصح المقابلة بين علم المنطق، كعلم يعنى بضبط قوانين الفكر، في شكله الأولي، وبين علم النحو الذي يعنى بضبط قوانين اللغة<sup>27</sup>،<sup>28</sup>.

لكن العجيب في الأمر أن "اللغة العربية هي الوحيدة التي صمدت، واستمرت سبعة عشر قرناً أو يزيد، بينما لا يزيد عمر أية لغة حية أخرى عن أكثر من خمسة قرون"<sup>29</sup>! هذه اللغة باتت تعاني اليوم من أزمة عامة، تستدعي معالجات خاصة وعميقة .

تساءل كاتبة<sup>30</sup> هل تكمن الأزمة في "اللسان" أم في "العقل" ؟ أم فيهما معاً؟ لماذا نطالب اللغة أن تُخنى هامتها من أجلنا، لماذا لا نحاول نحن أن نعلو قليلاً؟.

وتجيب "ليس للأمر علاقة بأزمة خاصة في اللغة العربية بقدر ما هو إشكالية آلية نقل الفكرة من العقل إلى اللسان. أي تحويل الفكرة الهيولية التجريدية الموهومة في المخ البشري إلى مفردة محددة ذات دلالة. وهي عملية ذهنية شديدة التعقيد وليست مقصورة على اللغة العربية وحدها، وهذا ما يجعلنا نتكلم دوماً عن قصور اللغة. كل لغة<sup>31</sup>. وأنا هنا لا أنفي الصعوبة عن اللغة العربية، لكنني أرددُ الأزمة إلى مأساة نُظْم التعليم في الوطن العربي ككل، ليس في مادة اللغة العربية وحسب، بل في مختلف فروع العلم".

فالعرب جزء مهم من هذا العالم، ولسانهم يتضمن طريق للوحي القرآني، والكيانات الحضارية الأخرى "ترتقب معنى ثقافتها من رسالة العرب"<sup>32</sup>! وهذا يعني أن البعث للإنسان العربي إنما هو بعث للإنسان في كونيته، لأن الأمة العربية حقيقة إنسانية، تتجاوب مع الأمم تجاوباً طبيعياً، تفرضه الإنسانية، ولن يتم بعث العرب إلا بفقهِ تراثهم، ولن يفقهوا تراثهم إلا بفقهِ لغتهم، وإذا فقهِ العرب لسانهم، قدموا نتائج إنسانية عامة، لا تقل عن النتائج

<sup>27</sup> مهدي فضل الله، مدخل إلى علم المنطق "المنطق الصوري" دار الطليعة، بيروت، الطبعة الرابعة، أكتوبر 1990م، (ص 45) عن: الفلسفة الواصفة. الحسين الزاوي، مركز الكتاب للنشر، مصر، الطبعة: الأولى، 2002م، اتحاد الجمعيات الفلسفية العربية، رقم 5 (ص 98-99-101).

<sup>28</sup> انظر: صلاح فضل، بلاغة الخطاب وعلم النص، دار المعرفة، مصر، 1416هـ - 1996م (ص 18- فما بعد).

<sup>29</sup> نيقولا دوبريشان - من رومانيا- اللغة العربية والثقافة الإنسانية المعاصرة - ورقة مؤتمر مقدمة لأحد المجمع اللغوية العربية- عن "استهداف العرب عبر اللغة" شبكة محيط الإخبارية-نت-2007/05/17م.

<sup>30</sup> فاطمة ناعوت- شاعرة و مترجمة مصرية ومدير تحرير مجلة "قوس قزح"- مقال- اللغة بين لسان العربي وعقله.. تحيا العربية من دون أن يسقط سيويه . موقع: صوت العربية -نت- حزيران 2006م.

<sup>31</sup> انظر: الحاج بنزينب، اللغة والفكر عند فيتغشتين-مقال- موقع: الأوان -نت- الجمعة 19 تموز (يوليو) 2013م.

<sup>32</sup> على حد تعبير زكي الأرسوزي. انظر: دور اللسان في بناء الإنسان عند زكي الأرسوزي .د. خليل أحمد، دار السؤال، دمشق، الطبعة الثانية، 1401هـ ، 1981م.(ص 174-175). بتصرف.



الإنسانية اللسانية الخاصة<sup>33</sup> والاهتداء إلى ذلك بفضل اللسان العربي يجعل العرب في هذه المرحلة التاريخية أصحاب رسالة تخلق الانسجام. بين علوم العمران/الطبيعي، وعلوم الإنسان/الشرعي.

إن أصولية اللسان، وأصولية الفكر وحدتان متداخلتان، ومتميزتان، في نفس الوقت:

(أ) أما التداخل، فلأن الخطاب:

(1) لا يتم إلا بين ذهنيات متطورة، يستقل الإنسان بها عن سواه.

(2) ولأن تطور الذهن لا يكون إلا بتوسط اللغة، وذلك لأننا باللغة نتحدث عن الفكر، وباللغة نتحدث عن الأشياء، وباللغة نتحدث عن اللغة!.

(ب) وأما عن التمييز فهو أيضا ينقسم إلى قسمين: تمايز لساني، وتمايز فكري.

(1) التمايز اللساني:

يتميز اللسان بكونه أداة. وهو كأداة:

- "دليل ما يتضمنه"<sup>34</sup>

- مستقل بنظامه.

- مجبر بالتزام قوانينه. وقد أشار الجرجاني إلى قسرية اللسان بقوله:

"نظم الحروف هو تواليها في النطق فقط، وليس بمقتضى عن معنى، ولا الناظم لها بمقتف لها في ذلك رسماً من العقل اقتضى أن يتحرى في نظمه لها ما تحراه، فلو أن واضع اللغة قد كان قال (ربض) مكان (ضرب) لما كان في ذلك ما يؤدي إلى فساد<sup>35</sup>!".

- لا علاقة للعقل به. والغزالي يؤكد هذا فيقول "لا مجال للعقل في اللغات"<sup>36</sup>.

<sup>33</sup> مثل الكشف عن جذور الإنسانية، والكشف عن تكوين العقل البشري، والكشف عن تكوين الأساطير، والكشف عن البنى العميقة للنصوص، وإنشاء ثقافة إنسانية ترتقي بالإنسان إلى عبقرية حرة، مبدعة، تتجاوز -مثلاً- في بعدها الجمالي/الأدبي، سوق النخاسة الأدبية الجنسية العربية المعاصرة، في الكتابة التي أدمتها تجار الحقائق الثقافية الرخيصة، باسم الإبداع الأدبي.

<sup>34</sup> القاضي عبد الجبار المعتزلي، المغني في أبواب العدل والتوحيد (16/359).

<sup>35</sup> دلائل الإعجاز. نشر: رشيد رضا (ص35).

<sup>36</sup> المستصفي في علم الأصول (1/48).

ويشرح الرازي الأمر فيقول "وذلك لأن العقل لا طريق له إلى معرفة اللغات البتة، بل ذلك لا يحصل إلا بالتعليم، فإن حصل التعليم، حصل العلم به، وإلا فلا!"<sup>37</sup>،<sup>38</sup>

## (2) التمايز الفكري :

يتميز الفكر بكونه مضموناً. وهو كمضمون:

- دليل على غيره.

- محتاج إلى غيره في ظهوره، وغير مستقل بنفسه.

- غير مجبر بنظامه.

- متمكن في تحصيل المعارف<sup>39</sup>.

لعل مما سبق يتبين الدور اللساني الفريد الذي يتموقع فيه الإنسان، وتبين بعد العلاقة بين اللسان والجنان؛ لكن من المفيد أن نجمل بعض الوظائف اللسانية، في دورها الإنساني العام<sup>40</sup>

يكاد المتتبع لمقولات التراث عن هذا الدور لا يقف معها عند عدد، غير أن الذي يشد الانتباه بصورة خاصة مقولتان للشهرستاني /الأشعري، والقاضي عبد الجبار/المعتزلي، تأخذ كل واحدة منهما جانبا هاما من جوانب التفكير العربي في عملية التأصيل، والمعرفة.

<sup>37</sup> مفاتيح الغيب/التفسير الكبير (2/162) وتمام المعنى عند قوله تعالى (وعلم آدم الأسماء كلها) قوله: " فلا يحسن منه أن يقول للزنجي في معرض التحدي تكلم بلغتي وذلك لأن العقل لا طريق له إلى معرفة اللغات البتة بل ذلك لا يحصل إلا بالتعليم فإن حصل التعليم حصل العلم به وإلا فلا. أما العلم بمقتضى الأشياء فالعقل متمكن من تحصيله فصح وقوع التحدي فيه "أ.هـ.

<sup>38</sup> انظر: حسن ظاظا، اللسان والإنسان فلسفة اللغة، (ص67-90). دار القلم، ط، الثانية 1990م. سيلفان أورو وآخرون، فلسفة اللغة، (ص305 فما بعد) المنظمة العربية للترجمة، ط، الأولى 2012م. مصطفى الحداد، اللغة والفكر وفلسفة الذهن، منشورات جمعية الأعمال الاجتماعية والثقافية لكلية الآداب والعلوم الإنسانية بتطوان 1995م.

<sup>39</sup> منذر عياشي، اللسانية ومنهج التفكير عند العرب، مجلة الدارة/السعودية، العدد الرابع، السنة الثانية عشرة، رجب 1407هـ، (ص97-116).

<sup>40</sup> حيث أن وظائف اللسان كثيرة، وقد أسهب تشومسكي فقال " إنها (أي: اللسان) أداة للتعبير الحر عن الأفكار ... "أ.هـ. عن: اللسانية ومنهج التفكير عند العرب .د. منذر عياشي (مجلة: الدارة/السعودية، العدد الرابع، السنة الثانية عشرة، رجب 1407هـ، (ص97-116). ونضيف القول بأن" التفكير العربي أفرز نظرية شمولية في الظاهرة اللغوية" كما يقول المسدي في كتابه: التفكير اللساني (ص24). وانظر: الملكة اللغوية في الفكر اللغوي العربي، د. السيد الشرقاوي (ص9).

(أ) يلفت الشهرستاني الانتباه إلى أمر يصبح به اللسان:

(1) مُعدًا لما هو له.

(2) وموطننا، في بعض أنحاءه يُكون نماء الفكر .

وكان الشهرستاني يقرأ من خلف القرون، ما يكتبه "تشومسكي<sup>41</sup>" عن هذه القضية أيضا.

أما عن النقطة الأولى فيقول "كل الحروف والكلمات محلها اللسان، وكل المعاني والمفاهيم محلها الجنان، وبمجموع الأمرين سمي الإنسان ناطقا".

وأما النقطة الثانية فيقول "لو وجدت اللسانية منه (أي: الإنسان) دون المعاني الجانبية سمي مجنوناً لا متكلماً إلا بالمجاز، ولو وجدت المعاني الجانبية منه دون الألفاظ سمي مفكراً لا متكلماً إلا بالمجاز"<sup>42</sup>.

فالنقطة الأولى هي ما اصطلح تشومسكي على تسميته بـ "البنية الفوقية/السطحية" في مقابل الحروف والكلمات، "والبنية التحتية/العميقة" في مقابل المعاني الجانبية، يقول تشومسكي:

"إن البنية التحتية تحدد التأويل الدلالي/مورفيمات، وإن البنية الفوقية تحدد التأويل الصوتي/الفونيمات"<sup>43</sup><sup>44</sup>.

وأما عن النقطة الثانية فإن تشومسكي يرى أن البنية التحتية ليست "إلا انعكاساً لأشكال الفكر"<sup>45</sup>. وبموجب هذا التصور يأخذ اللسان وظيفته الأولى، فيصير شاهداً على صحته من جهة، وشاهداً على صحة العقل من جهة أخرى .

(ب) وإذ يصير اللسان شاهداً على صحة العقل عند الشهرستاني، ويصير العقل شاهداً على صحة المعنى الجناني عند القاضي عبد الجبار، فينتفي العبث عنه بمعلوم المراد منه. يقول - القاضي - : "إنه ليس في العقل ما يعلم معه المراد فيكون عبثاً"<sup>46</sup>.

<sup>41</sup> المفكر الأمريكي، ومنظر اللغويات الشهير، من علماء اللسانية المعاصرين.

<sup>42</sup> نهاية الإقدام في علم الكلام (ص 285).

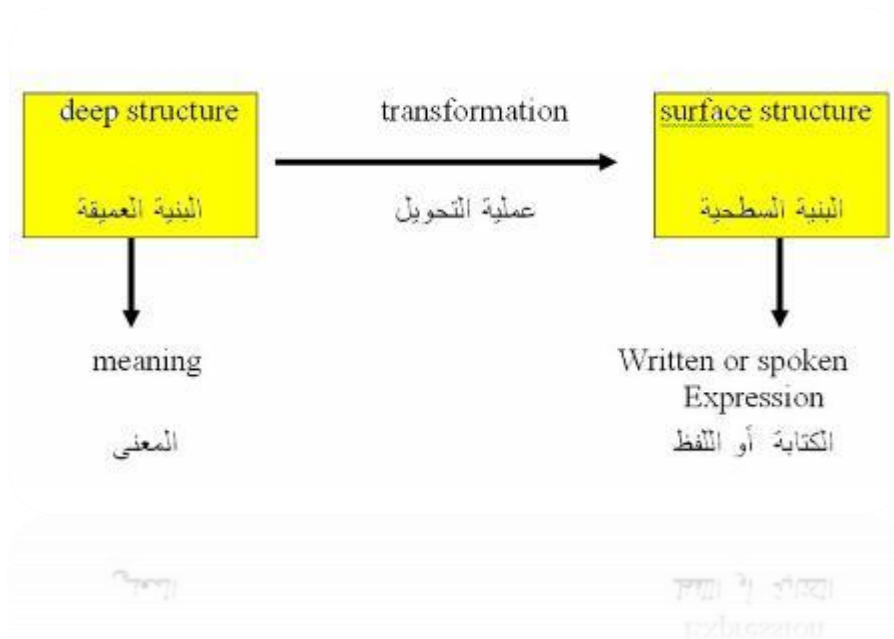
<sup>43</sup> Aspects de la theorie syntaxique

<sup>44</sup> انظر: خليل عمايرة، حلقة الوصل بين الألسنية الحديثة والنحو العربي (مجلة: الدارة/السعودية 1402هـ، ص 99 - 114).

<sup>45</sup> La linguistique cartesienne p 67

<sup>46</sup> المغني في أبواب العدل والتوحيد (190/7).

وبهاتين المقولتين يأخذ اللسان وظيفته الثانية، وهي: الإخبار باللغة عن الخبر. يقول الجرجاني: "الدلالة على شيء هي لا محالة إعلامك السامع إياه"<sup>47</sup>...



ويذهب "ابن مسكويه" في تحليل الحاجة إلى الكلام مذهبا سوسولوجيا/اجتماعيا، ولسانيا، ويردها إلى أصلين:

(ج) التعايش. (د) التواصل .

(ج) فعن **التعايش**:

يقول: "إن السبب الذي احتيج من أجله إلى الكلام، هو أن الإنسان الواحد لما كان غير مكتف بنفسه في تتمه بقاءه مدته المعلومة وزمانه المقدر المقسوم، احتاج إلى استدعاء ضروراته في مادة بقاءه من غيره. ووجب بشرية العدل أن يعطي غيره عوض ما استدعاه منه بالمعاونة".

(د) وعن **التواصل**:

يقول: "لم يكن بد من أن يفزع إلى حركات بأصوات دالة على هذه المعاني بالاصطلاح ليستدعيها بعض الناس من بعض، وليعاون بعضهم بعضا فيتم لهم البقاء الإنساني، وتكمل فيهم الحياة البشرية"<sup>48</sup>.

<sup>47</sup> دلائل الإعجاز (ص 347).

<sup>48</sup> الهوامل والشوامل، التوحيدي وابن مسكويه (ص 6-7) عن: اللسانية ومنهج التفكير عند العرب، د. منذر عياشي؛ (مجلة الدارة/السعودية، العدد الرابع، السنة الثانية عشرة، رجب 1407هـ (ص 97-116)).

## [ 5 ]

## \* في البعد القرآني، للدور اللساني:

ثمت حقيقتان - سبقت الإشارة إليهما بإيجاز - ينبغي معرفتهما عند النظر إلى اللسان العربي، في علاقته بالوحي/القرآن، والسنة:

(أ) أن اللغة بوصفها كائن حي غير ثابت، متطور، فهي ظاهرة اجتماعية لها تعقيدات الظاهرة الإنسانية، وإشكالاتها<sup>49</sup>.

(ب) أن العربية لها ظرف خاص، لم يتوفر لأي لغة في العالم - هذا الظرف يجعلنا نرفض ما ينادي به بعض الغافلين - عن حسن نية وسوء نية أحياناً - من ترك الحبل على الغارب للعربية الفصحى، لكي تتفاعل مع العاميات، كما يحدث في اللغات كلها. مع الإيمان بضرورة الانفتاح الدراسي للغات العالمية كشرط حضاري.

حقاً اللغة كائن حي، وسنة الله في التاريخ أن الأشكال الحديثة تأخذ مجراها أكثر من القديم، وتلك سنة ليست اللغة بيدع عنها، فلا تُعرف لغة على ظهر الأرض حسبما يقول خبراء اللغات، جمعت على شكل واحد مئات السنين، مئات الكلمات المنحوتة والمشتقة، والمستوعبة دلاليا فيما سمي: "بنظرية الحقول الدلالية" مثل العربية<sup>50</sup>.

<sup>49</sup> لكن هذه الأزمات اللسانية، درسا وفكراً، لا تعني أقول اللسانية العربية من الدور الحضاري، فقد ظهرت بوادر دراسة في أمريكا اللاتينية تتوقع فيها أنه على المدى المنظور والقريب، لن يبقى إلا أربع لغات عالمية، في العالم هي: 1- اللغة الصينية، وسبب بقائها هو العامل البيولوجي. 2- اللغة الإسبانية، وسبب بقائها هو العامل الديموغرافي. 3- اللغة الإنجليزية، وسبب بقائها هو العامل التكنولوجي. 4- اللغة العربية، وسبب بقائها هو العامل الديني، لأنها هي اللغة الدينية لأكثر من مليار من البشر. يقول الشاعر: عبد الحميد الرافعي: "والله يأبى أن تمان فبشروا - من رام ذلتها بكل هوان" عن: (في العيد الماسي للمجمع) - أحمد طالب الإبراهيمي. ورقة مقدمة لأحد المجمع اللغوية العربية - عن: "استهداف العرب عبر اللغة، شبكة محيط الإخبارية - نت - 2007/5/17م. و( مستقبل اللغة العربية في عالم متغير - د. ناصر الدين الأسد - ورقة مقدمة لأحد المجمع اللغوية العربية) عن: استهداف العرب عبر اللغة - "شبكة محيط الإخبارية - نت - 2007/5/17م.

<sup>50</sup> لقد انتظر العالم العربي (328 سنة) هجرية بعد وفاة الفيروز آبادي، حتى ولد الزبيدي، صاحب "تاج العروس" الذي أخذ عن جميع من سبقه، وحاول - ما استطاع - اجتناب جميع أخطائهم، مضيفاً أربعين ألف مادة جديدة، إلى الثمانين ألف مادة، التي جاء بها اللسان، حسب رواية الأستاذ: أحمد عبد الغفور عطار، في كتابه "مقدمة الصحاح". د. محمد عدنان، معجم الأخطاء الشائعة (ص 7-8) مكتبة لبنان، ط 2، 1993م.

غير أن العربية كما قلنا لها ظرفها الخاص، هو أنها ارتبطت بالقرآن الكريم، منذ أربعة عشر قرناً، وغدت لغة عالمية بسبب القرآن الكريم<sup>51</sup>، ودُونََ بما التراث الإسلامي/العربي الضخم، الذي كان محوره القرآن الكريم، ولولا كل هذا لأضحت اللهجات العربية المختلفة، لغة أثرية/نقوشية، تشابه اللاتينية، أو السنسكريتية .

هذا هو السر في عدم قياسنا العربية الفصحى بغيرها من اللغات الحية المعاصرة، فإن أقصى عمر هذه اللغات، في شكلها الحاضر، لا يتعدى قرنين من الزمان .

وقد صدق الشيخ: أحمد رضا العاملي حين قال: "أنا لا أرتاب في أن اللغة التي حملها الفرنسيين (أي: الفرنسيين) أيام الحروب الصليبية، إلى سوريا لم تكن كاللغة التي حملها أحفادهم إليها هذه الأيام"<sup>53</sup>.

ذلك أن تلك اللغات لم ترتبط بكتاب مقدس تحديداً، كما هو حال العربية !

وهو السر كذلك في اهتمامنا بالفصحى القديمة، ودراستها، حتى نفهم القرآن الكريم، وهو المركز الذي تتبرخ حوله كل الدراسات العربية. وقد كان من مقاصد تناول صحابة النبي -صلى الله عليه وآله وسلم للشعر في تلذذهم به مثلاً- لكون اللسان، شعراً كان أو نثراً، يشكل مدخلاً لفهم خطاب الشارع<sup>54</sup>، فلا تنظرن ! لقول سيدنا ابن عباس - رضي الله عنه - "الشعر ديوان العرب، فإذا خفي علينا الحرف من القرآن الذي أنزله الله بلغة العرب، رجعنا إلى ديواننا، فالتمسنا معرفة ذلك"<sup>55</sup> <sup>56</sup> بمعزل عن المأل القرائي، في النظر اللساني!

<sup>51</sup> بشهادة المستشرق "نولدكه" حيث تقول "العربية لم تصر لغة عالمية حقاً، إلا بسبب القرآن والإسلام". اللغات السامية (ص79) عن: رمضان عبد التواب، فصول في فقه العربية (ص:109) ط3، 1408هـ - 1987م.

<sup>52</sup> وبشهادة المؤرخ العلمي "رينيه تاتون" في الموسوعة التي أشرف عليها: تاريخ العلوم العام 1/452-455/العلم القديم والوسيط، ترجمة: علي مقلد، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، 1426هـ - 2006م.

<sup>53</sup> مولد اللغة، (ص72) عن: التطور اللغوي - مظاهره، وعقله، وقوانينه. د. رمضان عبد التواب (ص 13) مكتبة الخانجي، بالقاهرة، 1417هـ - 1997م.

<sup>54</sup> عن مقدمة: التطور اللغوي - مظاهره، وعقله، وقوانينه. د. رمضان عبد التواب (ص 13) مكتبة الخانجي، بالقاهرة، 1417هـ - 1997م.

<sup>55</sup> ابن الأثير، إيضاح الوقف والابتداء (ص100). التطور اللغوي. د. رمضان عبد التواب (9-14) .

<sup>56</sup> أخرجه عبد بن حميد، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، والحاكم وصححه، والبيهقي في (الأسماء والصفات) من طريق عكرمة عن ابن عباس - رضي الله عنه - قال: إذا خفي عليكم شيء من القرآن فابتغوه في الشعر، فإنه ديوان العرب ... "كما في (الدر المنثور 8/ص254) فذكره.

وعلى مستوى التبيين والفهم أيضا، فإن قانون اللسان العربي هو أساس الفهم، إذ الوحي معانٍ يحملها وعاء اللسان العربي، كما كانت عليه في عهد الرسول - صلى الله عليه وآله وسلم - وفي المقاصد العامة لله تعالى في خلقه، ولمناسبات التنزل القرآني، ما ينير السبيل، في تبين المراد الإلهي<sup>57</sup>.

## [6]

### \* في الـدرس اللساني العربي:

" فأما الكلام على الكلام، فإنه يدور على نفسه □□ " .

هكذا يصف التوحيدي الحديث عن الحدّث اللساني، بالأداة اللسانية، وهي جزء من بحث الإنسان عن وفي الإنسان بإنسانيته الزبئقية الواسعة، ما يعتبر إشارة إلى بعد غور البحث الإنساني محل البحث، وأداة البحث في أن معاً. ذلك أن اللسان جزء من الإنسان.

ومن المفيد أن نلقي إطلاقة على حقل " اللسانيات " الفرع اللغوي الذي يُعنى بدراسة الظاهرة اللغوية بشكل شمولي، وفي اعتقادنا أن حل أي مشكل لساني اجتماعي، ودراسة أي لسان عالمي سيكون قاصراً في تحليله عندما لا يأخذ بأطروحات هذا الحقل وما كُتب فيه، وإشكالاته، لذا سنلقي إطلاقة سريعة عليه - بإيجاز - للقارئ العربي المهتم.

## [ 7 ]

### \* تعريف اللسانيات:

اللسانيات علم حديث، قديم! يعرفه ابن خلدون: " بأنه بيان الموضوعات اللغوية<sup>59</sup> ".

أما التعريفات الحديثة، فكثيرة منها:

( أ ) " هي الدراسة العلمية للغة الإنسانية<sup>60</sup> ".

<sup>57</sup> عبدالمجيد النجار، خلافة الإنسان بين الوحي والعقل - بحث في جدلية النص والعقل والواقع (ص134) الدار العربية للعلوم، والمعهد العالمي للفكر الإسلامي، الطبعة الثالثة 1425هـ - 2005م.

<sup>58</sup> الإمتاع والمؤانسة (2/ 131).

<sup>59</sup> المقدمة (ص 548).

(ب) "مجموعة من العلوم يجمعها هدف واحد، وهو دراسة الظاهر اللغوية لدى الإنسان". ويتضمن هذا التعريف ما يلي:

- 1- الاستعانة بالعلوم الأخرى (المنطق، علم النفس، علم الاجتماع، الرياضيات، الانثروبولوجيا الثقافية ...).
- 2- الاستعانة بالتقنيات الحديثة (المختبرات الصوتية، الحاسب الآلي ...).
- 2- العوامل المؤثرة على هذه الظاهر (فسيولوجية/وظيفية، أو نفسية، أو اجتماعية).
- 3- الظواهر اللغوية (أصوات / الفونيمات، تراكيب، ودلالة / مورفيمات).
- 4- اتباع الأساليب العلمية المعروفة (ملاحظة، استقراء، استنتاج القواعد ...) <sup>61</sup>.

والخلاصة في تعريف "اللسانيات" "أنه حقل من الدراسات يتناول اللغة بشكل كلي، ليخلص إلى أبعاد ما كانت لترى له، لو وقف عند حد الصوت، أو الدلالة، أو التركيب، أو البعد الاجتماعي، أو الوظيفي".

وتعتبر اللسانيات مدخلا، وحقلا كذلك من حقول "فلسفة اللغة" إذ القضايا المتناولة والمثارة في حقل اللسانيات ذات تركيبة نقدية فلسفية بالدرجة الأولى. وهي كذلك جزء من توجه المبحث اللغوي نحو المبحث الفلسفي.

\* مثال على إشكالية لسانية، ودور النقد اللساني فيها:

اللغة بعد ظهور الحاسوب والشبكات الإلكترونية الافتراضية SOCIAL MEDIA - MULTIMEDIA "أضحت لها في هذا المحل إشكالات، ومن ثم يأتي دور النقاد اللسانيون في برزخ حقل اللسانيات، والتفاعل الثقافي، بإلقاء الضوء على هذه الإشكالات. وصفا، وتحليلا، ومعالجة.

يقول د. سعيد يقطين <sup>62</sup> في كتابه: من النص إلى النص المترابط "اللغة العربية الحالية في مجال المعلومات، والفضاء الشبكي (من خلال بعض المواقع والمدونات الشخصية أو شبه الرسمية) لغة ركيكة جدا لا تحترم أبسط قواعد النحوية والإملائية، فأحرى أن تكون مصطلحاتها عربية سليمة، أو يبدو من خلالها أي جهد إبداعي، أو اهتمام باللغة العربية (استعمال العاميات في أبسط صورها، وأحط مستوياتها) ولا غرابة في ذلك فالتقنيون ذوو التكوين

<sup>60</sup> علم النفس اللغوي (ص11). مقدمة في اللغويات المعاصرة (ص35). علم اللغة، محمد حسن. (ص23) عن: مقدمة في اللسانيات د. عاطف فضل، دار الرازي، الطبعة الأولى 1426هـ - 2005م (ص55).

<sup>61</sup> توفيق شاهين، علم اللغة العام (ص29).

<sup>62</sup> ناقد مغربي، من كتبه: الأدب والمؤسسة والسلطة، وتحليل الخطاب الروائي... وغيرها. <http://www.saidyaktine.net>



العلمي هم من يساهم في هذه اللغة -الركيكة- وتكوينهم اللغوي والثقافي ضعيف جدا، كما أن بعض المواقع (ذات الطبيعة الترفيهية والاجتماعية) تتوهم أن "شعبيتها" تأتي من خلال توظيفها هذه اللغات المحلية والمثيرة، التي تدغدغ العواطف بالألفاظ شبه الساقطة! وتركيزي على هذه القضية يبرره كون دخولنا العصر هو مستحيل، أو شبه مستحيل إذا كانت اللغة العربية ضعيفة، وغير مدروسة أو محللة، وغير متطورة، وقبل هذا وذاك غير معتنى بها بالصورة التي تضمن التواصل بها، والإبداع من خلالها على النحو الأمثل من لدن مستعملها<sup>63</sup>.

### \* النهج العلمي لدراسة اللسانيات (قوانين علم اللسانيات):

(أ) الشمول واستنفاد القضايا اللغوية، أي: المعالجة التفسيرية الشاملة لكل ما يتصل بموضوع الدرس، وبناء اللغوية.

(ب) الانسجام والتماسك أو الترابط، أي: لا تتناقض مختلف الأجزاء التي تؤلف التنظيم، بل تتعاون لتكون كلا متناسقا. فيعالج علم اللسانيات القضايا اللغوية انطلاقا من المبادئ الواحدة، التي تعتمد معايير محددة، في تحليل التنظيم اللغوي.

(ج) الاقتصاد أو التذليل في عرض القواعد:

يسعى التنظيم اللغوي إلى عدم هدر الجهود البشرية، فتعتبر اللغة باقتضاب واختصار عما يجول في خواطر المتكلمين بها، وهذا يسمى "الاقتصاد الألسني"<sup>64</sup> و "إن ما نسميه عادة بالاقتصاد في اللغة ليس إلا السعي الدائب لتحقيق التوازن، بين الاحتياجات المتضاربة، والتي لا بد من تلبيتها: حاجات الإبلاغ، وخمول الذاكرة الإنسانية<sup>65</sup>".

(د) الموضوعية:

ولكي يتسم البحث بالموضوعية، لابد من اتباع الأساليب الواضحة والملائمة للتحليل اللغوي<sup>66</sup>.

<sup>63</sup> من النص إلى النص المترابط مدخل إلى جماليات الإبداع التفاعلي (ص81) المركز الثقافي العربي، ط 1، 2005م.

<sup>64</sup> الألسنية: علم اللغة الحديث (ص142-143) عن: مقدمة في اللسانيات د. عاطف فضل (ص57).

<sup>65</sup> الألسنية: علم اللغة الحديث (ص14) عن: مقدمة في اللسانيات د. عاطف فضل (ص58).

<sup>66</sup> م.س.

**\* فوائد اللسانيات :**

- (1) الكشف عن أسرار وقوانين اللغة، التي تسيّر وفقها اللغة، من حيث أداؤها لوظائفها، وعلاقتها بغيرها، وتطويرها، وتفهمها، وتدوقها...، ويتم بذلك ما يلي:
- (أ) الوقوف على حقيقة الظواهر اللغوية، وعناصرها، وأسسها.
- (ب) الوقوف على الوظائف التي تؤديها اللغة في مختلف مظاهرها .
- (ج) الوقوف على العلاقات الداخلية (التي تربط اللغة بعضها ببعض) والخارجية (التي تربطها بغيرها من الظواهر: الاجتماعية، والنفسية، والتاريخية ... .
- (2) علم اللسانيات يكشف عن عقلية الأمة<sup>67</sup> التي تتكلم تلك اللغة، كما يكشف عن تاريخها، وثقافتها، وقيمها ... .
- (3) علم اللسانيات يمكننا من الكشف عن أي خلل يقع في اللغة، فيسهل سده وإصلاحه، والسير به في الاتجاه الصحيح، بما يناسب خصائصها، وقوانينها، ولا يعرضها للانحلال، أو الاندثار<sup>68</sup>.

**\* فروع علم اللسانيات:**

- (1) علم اللغة العام (General Linguistics).
- (2) علم اللغة التاريخي (Historical Linguistics) .
- (3) علم اللغة المقارن (Linguistics Comparative).
- (4) علم اللغة الوصفي (Linguistics Descriptive).
- (5) علم اللغة التقابلي (Contrastive Linguistics).
- (6) علم اللغة الجغرافي (Geolinguistics Linguistics).
- (7) علم اللغة النظري (Linguistics Theoretical).

<sup>67</sup> فتحة إبراهيم، ومصطفى الشنوني، مدخل لدراسة الأنثروبولوجيا الثقافية، دار المريخ، الرياض (ص164-169).

<sup>68</sup> مازن المبارك، خصائص العربية (ص40) علي وافي، علم اللغة (ص14) عن: مقدمة في اللسانيات د. عاطف فضل (ص59).

## (8) علم اللغة التطبيقي (Linguistics Applied).

## (1) علم اللغة العام (General Linguistics):

وهو العلم الذي يبحث في النظريات اللغوية العامة، ومناهج البحث فيها، والبحث عن الخصائص التي تتكون منها لغة ما<sup>69</sup>.

## (2) علم اللغة التاريخي (Historical Linguistics):

وهو العلم الذي يعنى بتتبع الظاهرة اللغوية (للغة الواحدة) في عصور مختلفة، وأماكن متعددة ليكشف ما أصابها من تطور. وهذا المنهج "التزميني" هو الذي ساد قبل القرن العشرين الميلادي، وهو الذي تتبناه "المدرسة التاريخية".

## (3) علم اللغة المقارن (Linguistics Comparative):

هو امتداد لعلم اللغة التاريخي، ويدرس الظواهر اللغوية (الصوتية، والصرفية، و النحوية) في اللغات التي تنتمي إلى أسرة لغوية واحدة كاللغات السامية، واللغات الهندو-أوربية، وميدان الباحث هنا هو المقابلة الصوتية، والصرفية، والمعجمية، ورصد نقاط التلاقي، والتلافي بينها.

## (4) علم اللغة الوصفي (Linguistics Descriptive):

يقوم على أساس وصف اللغة أو اللهجة في مستوياتها المختلفة (صوتيا، وصرفيا، ونحويا، وداليا، ومعجميا) وقد ساد هذا المنهج (العلم) في القرن العشرين الذي يعد قرن علم اللغة الوصفي.

## (5) علم اللغة التقابلي (Contrastive Linguistics):

ويبحث في المستويات المختلفة (صوتيا، وصرفيا، ونحويا، وداليا) بين لغتين ليستا مشتركتين في "أرومة" (أي: أصل) واحدة (كاللغة العربية، واللغة الإنجليزية).

## (6) علم اللغة الجغرافي (Geolinguistics Linguistics):

وظيفة هذا العلم أن يصف بطريقة علمية، وموضوعية توزيع اللغات في مناطق العالم المختلفة، ليوضح أهميتها السياسية، والاقتصادية، والاستراتيجية، والثقافية<sup>70</sup>.

<sup>69</sup> خليل عمارة، في نحو اللغة وتراكيبها (ص19-20) عن: مقدمة في اللسانيات د. عاطف فضل (ص59).

(7) علم اللغة النظري (Linguistics Theoretical):

وتدخل تحته مجموعة علوم وهي:

(أ) علم الأصوات Phonetics وفروعه هي:

(1) علم الأصوات النطقي Phonetics Articulatory

(2) علم الأصوات السمعي Phonetics Acoustic

(3) علم وظائف الأصوات phonology

(ب) علم القواعد Grammar ويدخل تحته علوم:

(1) علم الصرف Morphology

(2) علم النحو Syntax

(3) علم الدلالة Semantics

(8) علم اللغة التطبيقي (Linguistics Applied):

ويدخل تحته علوم:

(1) علم اللغة النفسي Psycho Linguistics

(2) علم اللغة الاجتماعي Socio Linguistics

(3) علم اللغة الآلي Computioral Linguistics

(4) صناعة المعاجم Lexicography

(5) تعليم اللغات Language Teaching

**\*مختارات من الكتب اللسانية:**

- (1) مقدمة في اللسانيات، د. عاطف فضل، دار الرازي، الطبعة الأولى : 1426هـ - 2005م.
- (2) التفكير اللساني في الحضارة العربية، د. عبد السلام المسدي. الدار العربية للكتاب، ليبيا- تونس، 1981م.
- (3) العربية والحداثة أو الفصاحة فصاحات، د. محمد رشاد حمزاوي - دار الغرب الإسلامي.
- (4) مدخل إلى الألسنية، يوسف غازي 1985م.
- (5) اللسانيات العامة، مصطفى حركات.
- (6) مبادئ اللسانيات، أحمد محمد قدور، الطبعة الأولى، دار الفكر المعاصر.
- (7) قضايا أساسية في علم اللسانيات الحديث، مازن الوعر .
- (8) اللسانيات واللغة العربية، عبد القادر الفهري.
- (9) اللسانيات والدلالة، منذر عياشي
- (10) اللسان والإنسان فلسفة اللغة، حسن ظاظا.
- (11) فلسفة اللغة، سيلفان أورو وآخرون. المنظمة العربية للترجمة.
- (12) اللغة والفكر وفلسفة الذهن، مصطفى الحداد.
- (13) اللغة ومشكلات المعرفة، نعموشومسكي<sup>71</sup>. وغيرها كثير.

**خاتمة:**

أردنا بهذه الإطلالة الانطباعية الأولية، أن نشير إلى أهمية إستراتيجية "ما قبل المنهج" في حل أي مشكل لساني<sup>72</sup> عندنا، وتعمدنا عدم الدخول في تلك التوصيفات البلسمية الناجزة، لأزمة الدرس اللساني والإبداع اللساني

<sup>71</sup> إسهامات اللسانين والنقاد العرب المحدثين لا تخلو من مأخذ، من ذلك مثلاً: اعتمادها الجانب النظري، وقلة التطبيقات، وما أحوج المتعلم العربي اليوم إلى آليات استخدام المنهج، وتطبيقه على المدونة التراثية، فقلما نجد دراسة تربط الجانبين النظري والتطبيقي، أضف إلى ذلك شيوع ظاهرة الاستنساخ الملاحظة في الممارسة النقدية. انظر: نحو خطاب لساني نقدي عربي أصيل، فاتح زيوان، مجلة العلوم الإنسانية، السنة الرابعة: العدد 30: أيلول (سبتمبر) 2006م.

<sup>72</sup> حافيظ إسماعيلي علوي، نحن واللسانيات مقارنة لبعض إشكالات التلقي في الثقافة العربية، مجلة الكلمة، العدد (59) السنة الخامسة عشرة - ربيع 2008 / 1429هـ.

في الوطن العربي، إذ القصد هنا، هو الإجابة عن السؤال التالي: كيف يجب أن يتم تناول الأزمة اللسانية العربية الراهنة - بكل تجلياتها - بمنطق يتعالى على الانشغال بالمفردات بدل الكليات؟ مشيرين إلى ما يقدمه "حقل اللسانيات الحديثة" / والفكر اللساني، في حل هذا المشكل من أدوات تستحق الإفادة، يجب علينا الإمساك بأزمتهما.

والله أعلى وأعلم.